



زيارة الملك سلمان إلى طوكيو: البحث عن مفاهيم جديدة للعلاقات الثنائية السعودية - اليابانية

ماكيو يامادا

زميل باحث، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

زار الملك سلمان طوكيو لمدة أربعة أيام في شهر مارس من العام الجاري ٢٠١٧م، وكانت الزيارة ضمنَ جولته الآسيوية التي استمرت ثلاثة أسابيع، وشملت خمسَ دول، هي: ماليزيا، وإندونيسيا، وبروناي، والصين؛ بالإضافة إلى اليابان.

هذه الزيارة التي تستحقّ وصفها بأنها «استثنائية» في تأريخ العلاقات السعودية - اليابانية، كانت أول زيارة لملك سعودي إلى اليابان منذ ٤٦ عاماً، ولم يسبقها سوى زيارة الملك فيصل الذي كان أول ملك يزور اليابان في عام ١٩٧١م. وجدير بالذكر تشابه الزيارتين - زيارة الملك فيصل وزيارة الملك سلمان - من ناحية أن كليهما جاءت بعد إعلان الحكومة السعودية خطةً اقتصاديةً جديدةً تهدف إلى التقليل من اعتمادها الكبير على النفط.

كانت السعودية قد أطلقت في عام ١٩٧٠م أول خطة تنمية خمسية من أجل وضع حجر الأساس للقطاعات غير النفطية. وأدت زيارة الملك فيصل إلى اليابان في العام التالي (١٩٧١م) إلى تأسيس مشروعين بتروكيماويين في الجبيل تشارك في تشغيلهما الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) وشركات يابانية مختلفة. وقد مهّد هذان المشروعان السبيل نحو صعود قطاع البتروكيماويات السعودية إلى موقعه الحالي؛ حيث تحل السعودية في المركز الثالث في إنتاج المواد البتروكيماوية الأساسية في العالم، بعد كلٍّ من الولايات المتحدة والصين.

واليوم، تسعى السعودية إلى تنويع اقتصادها المستمر من أجل توفير فرص عمل لمواطنيها، الذين يُشكّل الشباب منهم دون الثلاثين عاماً أكثر من النصف، من خلال (رؤية ٢٠٣٠)، التي أعلنتها الحكومة السعودية في العام الماضي ٢٠١٦م. وتُشكّل (رؤية ٢٠٣٠) حافزاً للسعودية واليابان للشروع في مشروعات مشتركة جديدة تتأسّس على خبرات التعاون الثنائية بينهما على مدار أربعة عقود.

وقد بدأت الحكومتان مبادرات التعاون الثنائي الجديدة مع تشكيل (المجموعة المشتركة للرؤية السعودية - اليابانية ٢٠٣٠) في الرياض في أكتوبر ٢٠١٦م، بعد شهر من زيارة ولي ولي العهد (آنذاك) الأمير محمد بن سلمان إلى اليابان. وفي نطاق هذه المجموعة المشتركة، شرعت الحكومتان في مناقشة مشروعات التعاون في خمس مجموعات فرعية تتنوع مجالاتها بين التجارة والاستثمار، والتمويل، والطاقة والصناعة، وسياسة الشركات الصغيرة والمتوسطة، إضافة إلى الثقافة والتعليم (وقد كتبتُ تقريراً عن هذه التطورات بعنوان: رؤية المملكة ٢٠٣٠، والتحول في العلاقات الاقتصادية بين السعودية واليابان، صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في يناير ٢٠١٧م^(١)).

جرت زيارة الملك سلمان وسط استمرار المناقشات حول مشروعات التعاون؛ فكان الاجتماع الوزاري الثاني للمجموعة المشتركة الذي عُقد على هامش الزيارة فرصةً للحكومتين لإعلان «تقريرهما المرحلي»، الذي جاء في وثيقة من تسع عشرة صفحة بعنوان: (الرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠)^(٢).

(الرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠) ومفاهيمها المميزة

تمثل هذه الوثيقة (الرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠) التطورات الفريدة في العلاقات السعودية - اليابانية، إذ تُقدِّم عدة مفاهيم جديدة، مثل: (المُمكن Enabler)، و(كايزن Kaizen)، و(اليابان الرائعة والسعودية الكريمة Cool Japan، Warm Saudi). وتقدم هذا النوع من المفاهيم غير معتاد بالنظر إلى النهج التقليدي للحكومة اليابانية في سياستها الخارجية التي تميل إلى إعطاء الأولوية للذرائعية على المبادئ، وتُفضِّل عدم التقديم الواضح للمفاهيم المرتبطة بالسياق المحدد من أجل المحافظة على المرونة في صنع السياسات وممارستها.

وقد وصفت الحكومة اليابانية علاقاتها مع السعودية في الماضي باستخدام بعض المصطلحات المحددة مثل: «الشراكة الشاملة» Comprehensive Partnership (بعد عام ١٩٩٧م)، و«العلاقة متعددة المستويات» Multi-Layered relationship (بعد عام ٢٠٠١م)، و«الشراكة الاستراتيجية» Strategic Partnership (بعد عام ٢٠٠٦م). لكنَّ هذه المصطلحات كانت مجرد شعارات طموح، وليست تصورات ملموسة تُجسِّد التعاون الثنائي. وكثيراً ما اتُّخذت خطوات على أرض الواقع على أساس كل حالة على حدة، وليس تحت مظلات مفاهيمية متوسطة المستوى.

أما اليوم؛ فقد أقدمت اليابان على كسر هذه القوالب من خلال تعبيرها الصريح عن علاقاتها متعددة الأوجه مع السعودية باستخدام مفاهيم تُجسِّد التطورات في العلاقات الثنائية وفقاً لأهداف (رؤية ٢٠٣٠) ومرحلتها الأولى (برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠).

وفيما يلي، عرض مختصر للمفاهيم الثلاثة المذكورة أعلاه: (المُمكن)، و(كايزن)، و(اليابان الرائعة والسعودية الكريمة).

١- المُمكن (Enabler)

يشير مصطلح (المُمكن) المستخدم في وثيقة (الرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠) إلى ترتيبين مميزين؛ أحدهما هو (المجموعة

(1) <http://kfcris.com/ar/news/read/31>

(2) <http://www.meti.go.jp/press/2016/03/20170313006/20170313006-2.pdf>

الفرعية صفر) التي أنشئت حديثاً تحت (المجموعة المشتركة للرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠)؛ بالإضافة إلى المجموعات الفرعية الخمس الحالية. وتهدف المجموعة الفرعية الجديدة إلى تهيئة بيئة مواتية لتنفيذ مشروعات التعاون، ولاسيماً (مشروعات عداء الصدارة Front Runner Projects) التي حدّتها المجموعات الفرعية الخمس الأخرى، وأدرجت في الصفحات الست الأخيرة من وثيقة (الرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠).

تُحدّد الوثيقة أربعة مُمكنين: اللوائح، والحوافز، والدعم المنظّم، ورأس المال البشري. والهدف الجوهري لهؤلاء المُمكنين هو تجنّب «الفشل السوقي» و«الفشل الحكومي» في الوقت نفسه. ويساعد هؤلاء المُمكنون الحكومة على ممارسة دور محوري إذا عجزت السوق عن حلّ مشكلات سوء توزيع الموارد في مجالات متنوعة، مثل: البنية التحتية، والتعليم، وتوطين العمالة. ولكن، عندما يكون من الأفضل أن تقود السوق التطورات، فإن الحكومة تدعم القطاع الخاص من خلال إجراءات متنوعة، مثل: اللوائح العملية، والتخليص الجمركي، وإصدار تأشيرات السفر، وتحسين جودة الإدارة، والاتصال الفعال بين القطاعات العامة المختلفة.

أما الاستخدام الآخر لمصطلح (المُمكن) فيشير إلى منطقة اقتصادية خاصة تُدعى (منطقة عرض المُمكنين Enabler Showcase Zone)، إذ تدرس الحكومتان إمكانية إنشاء مناطق صناعية تُسهّل تطوير القطاعات ذات الأولوية القصوى من خلال إيجاد بيئة مواتية للأعمال. ولكن، تبقى مبادرة هذه المناطق في مرحلة البداية، ولم يتم الإفصاح عن تفاصيلها.

٢- كايزن (Kaizen)

بينما تُحدّد وثيقة (الرؤية السعودية اليابانية ٢٠٣٠) تركيز جهود الحكومتين في تنويع الاقتصاد السعودي، فإنّ الجديد أنّ يُقدّم مفهوم (كايزن) أداة للتعاون. ومفهوم (كايزن) يعني «التحسين المستمر»، وهو طريقة عملية يابانية تهدف إلى التطوير المستمر للمنتجات وطرائق الإنتاج. ويعدّ (كايزن) سرّاً نمو الكثير من الشركات اليابانية الرئيسية، مثل: تويوتا - التي أعلنت على هامش زيارة الملك سلمان بدء دراسة جدوى حول إنشاء مصنعها في السعودية - التي كانت - في البدء - تقلّد المنتجات الغربية، ثم حسّنت جودة منتجاتها من خلال إضافة القيمة إليها شيئاً فشيئاً، بصورة مستمرة، بدلاً من المُضيّ نحو التقدم المفاجئ.

واليوم ينتشر مفهوم (كايزن) بين الشركات السعودية، وتعمل شركة عبداللطيف جميل - وكيل تويوتا التي تُوسّع حالياً من أنشطتها لتضم قطاعات متعددة، مثل: الطاقة المتجددة - على إنشاء (أكاديمية كايزن). ومن المتوقع أن يساعد مفهوم (كايزن)، إذا تمت ممارسته بفاعلية، الشركات الخاصة على زيادة إنتاجية موظفيها، ويُسهّم في تسهيل توطين العمالة، حيث المطلوب أن تمارس قيادات الشركات التواصل الفاعل مع موظفيها الذين هم ليسوا جاهزين دائماً لاستخدام طاقاتهم كاملة. وقد يكون (كايزن) أسلوباً مناسباً لتحقيق ذلك الهدف كون جوهره هو تشجيع الموظفين على تعزيز قدراتهم على إضافة قيمة إلى الإنتاجية بشكل متطوع.

٣- «اليابان الرائعة والسعودية الكريمة» (Cool Japan, Warm Saudi)

أخيراً، تُقدّم الوثيقة (اليابان الرائعة والسعودية الكريمة). أما «اليابان الرائعة» (Cool Japan) فهو عنوان استراتيجية «القوة الناعمة» لليابان التي تمارسها الحكومة اليابانية منذ عام ٢٠١٠م، وأما نظيره السعودي: «السعودية الكريمة»

(Warm Saudi)؛ فإن السعودية تسعى من خلاله إلى «تقديم هويتها وثقافتها المضيافة إلى العالم». وتقرح الوثيقة نشره من خلال وسائل الإعلام وتسخير التقنية والخبرة اليابانية، مثل: «مانجا»، ووحدات الألعاب والمعارض الترفيهية.

الخطوة المقبلة: تعزيز القدرات المنظمة

مع هذه المفاهيم والمشروعات ذات الأولوية، ستكون الخطوة المقبلة للحكومتين تعزيز القدرات المنظمة المطلوبة لقيام هذه المشروعات بطريقة فعالة. وتحتاج هذه الخطوة ذات الأهمية إلى السرعة والجودة معاً؛ ولاسيما أنّ من المتوقع أن يؤدي (مكتبا الرؤية السعودية اليابانية Saudi Japan Vision Offices)، اللذان سيُفتحان في كل من الرياض وطوكيو، دوراً محورياً في إدارة المشروعات على الأرض.